@ 432 @ والتحميد والتقديس والتأويب والتصدّع ، وكل هذه صفات لا تصدر إلا عن أهل التمييز والمعرفة . قال تعالى : { لَوْ أَنزَلْنَا هَاذَا الْقُرْءانَ عَلَى جَبَلٍ } الآية ، { وَإِن مّن شَىْء إِلاَّ يُسَبّحُ بِحَمْدَهِ } ، { فَضْلاً ياجِبَالُ أَوّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ } ، وفي الحديث الصحيح : (إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ قبل أن أبعث وأنه بعد مبعثه ما مرّ بحجر ولا مدر إلا سلم عليه ، وفي الحجر الأسود إنه يشهد لمن يستلمه) . وفي حديث الحجر الذي فرّ بثوب موسى عليه السلام وصار يعدو خلفه ويقول : (ثوبي حجر ثوبي حجر) . وفي الحديث عن أحد : (أن هذا جبل يحبنا ونحبه) . وفي حديث حراء : (لما اهتز أسكن حراء) . وفي حديث : (تسبيح صغار الحصى بكف رسول ا صلى ا عليه وسلم)) . وقد دلت هذه الجملة وأحاديث أخر على نطق الحيوانات والجمادات ، وانقياد الشجر وغير ذلك . فلولا أنه تعالى أودع فيها قوة مميزة ، وصفة ناطقة ، وحركة اختيارية ، لما صدر عنها شيء من ذلك ، ولا حسن وصفها به . وإلى هذا ذهب مجاهد وابن جريج وجماعة . وقال قوم : الخشية هنا حقيقة ، وهو مصدر أضيف إلى فاعل . والمراد بالحجر الذي يهبط من خشية ا هو البرد ، والمراد بخشية ا : إخافته عباده ، فأطلق الخشية ، وهو يريد الإخشاء ، أي نزول البرد به ، يخوّف ا عباده ، ويزجرهم عن الكفر والمعاصي . وهذا قول متكلف ، وهو مخالف للظاهر . والبرد ليس بحجارة ، وإن كان قد اشتدّ عند النزول ، فهو ماء في الحقيقة . وقال قوم : الخشية هنا حقيقة ، وهو مصدر مضاف للمفعول ، وفاعله محذوف ، وهو العباد . والمعنى : أن من الحجارة ما ينزل بعضه عن بعض عند الزلزلة من خشية عباد ا إياه . .

وتحقيقه : أنه لما كان المقصود منها خشية ا تعالى ، صارت تلك الخشية كالعلة المؤثرة في ذلك الهبوط ، فكان المعنى : لما يهبط من أجل أن يحصل لعباد ا تعالى . وذهب أبو مسلم إلى أن الخشية حقيقة ، وأن الضمير في قوله : { وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } عائد على القلوب ، والمعنى : أن من القلوب قلوباً تطمئن وتسكن ، وترجع إلى ا تعالى ، فكنى بالهبوط عن هذا المعنى ، ويريد بذلك قلوب المخلصين . وهذا تأويل بعيد جداً ، لأنه بدأ بقوله : { وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ } ، ثم قال : { وَإِنَّ مِنْهَا } ، فظاهر الكلام التقسيم للحجارة ، ولا يعدل عن الظاهر إلا بدليل واضح ، والهبوط لا يليق بالقلوب ، إنما يليق بالحجارة . وليس تأويل الهبوط بأولى من تأويل الخشية إن تأوّلناها . وقد أمكن في الوجوه التي تضمنت حملها على الحقيقة ، وإن كان بعض

تلك الأقوال أقوى من بعض . وذهب بعضهم إلى أن الذي يهبط من خشية ا هو الجبل الذي كلم ا عليه موسى عليه السلام ، إذ جعله دكاً . وذهب قوم إلى أن الخشية هنا مجاز من مجاز الاستعارة ، كما استعيرت الإرادة للجدار في قوله تعالى : { يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ } ، وكما قال زيد الخيل : % (بجمع تضل البلق في حجراته % .

ترى الاكم منه سجداً للحوافر .

. %)

وكما قال الآخر : % (لما أتى خبر الزبير تضعضعت % .

سور المدينة والجبال الخشع .

%)